(ونستطرد هذا لنشير الى ان هدف الحركة الصهيونية لم يكن خلق دولة يهودية بل اقامة دولة لليهود . وهذا التمييز كان يؤكد عليه هرتزل دائما . فالمقصود ليس بناء دولة يهودية الطابع وانما هو بناء دولة اهلها يهود ، مواطنوها يهود). بعبارة اخرى ، عن طريق انشاء دولة اليهود ، وبهذه الطريقة فقط ، يصبح وضع اليهود وضعا طبيعيا ، فتزول اللاسامية زوالا نهائيا من تاريخ الانسانية . باعتقادي ان هذا هو محور الحركة الصهيونية : خلق وانشاء وتدعيم واستدامة دولة لليهود ، يكون قيامها الحل النهائي للمسألة اليهودية .

ولكن عند التفتيش على وسائل خلق هذه الدولة، غرفت الحركة الصهيونية من جعبة المفاهيم والحركات التي كانت سائدة في اوروبا في ذلك الوقت ، وهي ، بصورة خاصة ، الحركة القومية وحركة الاستعمار الاستيطاني والحركة الامبريالية . وكان هناك لقاء وتمايز اساسي بين الحركة الصهيونية وبين كل من هذه المفاهيم الثلاثة .

فبالنسبة **للقومية** ، لم تكن المعطيات الموضوعية للحركة القومية في اوروبا متوافرة في الوضع اليهودي . فالحركات القومية كانت تقوم على أساس وجود مجتمعات متراصة ، جماعات متعايشة معا من البشر ، بينها روابط اساسية (ولعل اهمها الرابطة اللغوية) تجعلها تشعر بذاتية خاصة . ووجود هذه المجتمعات دون ان تتمتع بحكم ذاتي او دون ان يكون اطار الكيان السياسي الذي كانت تعيش فيه مساويا لاطار الكيان الديموغرافي الذي كانت تنتسب اليه ، جعل الحركة القومية تعصف بالكيانات السياسية القائمة في اوروبا وتحطم جدرانها كي تعيد تركيبها من جديد على أساس يتلاءم مع التوزيع البشري القومي للناس في اوروبا . فحين كانت الدولة الواحدة تضم اكثر من قومية واحدة ، كانت الحركة القومية تسعى الى تمزيق هذه الدولة الى دول ، وحين كان المجتمع القومي الواحد يعيش في اكثر من دولة واحدة ، كانت الحركة القومية تسعى الى توحيد هذه المجتمعات معا في اطار دولة واحدة : أي اعادة تركيب جدران الكيانات السياسية بحيث يكون جدار كل كيان سياسي هو ايضا جدار كيان اجتماعي ذي رابطة قومية واحدة . أما اليهود فلم يتوفر لهم هذا الظرف الموضوعي ، بل كانوا موزعين كأقليات في مجتمعات عدة ، ولم يكن في وسعهم، اذن، خلق دولة اليهود، لا عن طريق تمزيق وحدة دولة قائمة ذات قوميات متعددة ولا عن طريق خلق دولة جديدة بربط الاجزاء المتاخمة لدول متعددة معا . نتيجة لذلك حين استفادت الحركة الصهيونية من الحركة القومية ، كحافز لها على تأسيس دولة لليهود ، فقد وجدت نفسها في الوقت عينه في ظرف موضوعي يختلف عن الاوضاع التي أدت في اوروبا الى قيام الحركة القومية والى نجاحها في اعادة توزيع الكيانات السياسية من جديد .

اذا لم يكن بالامكان خلق دولة اليهود عن طريق تمزيق دولة قائمة او ترقيع اجزاء من عدة دول لجعلها دولة واحدة ، فلا بد من مخرج لايجاد دولة اليهود عن طريق هجرتهم ، هجرة هادفة ، من جميع الاماكن التي يقطنون فيها الى مكان جديد يجتمعون كلهم على أرضه حيث ينشئون لانفسهم دولة قائمة بذاتها . وهذا ، بالطبع ، يعيد الى الذاكرة حركة الهجرة الاوروبية منذ مطلع العصر الحديث واستعمارها استعمارا استيطانيا للعالم الجديد المكتشف حديثا سواء في الاميركتين او في اوستراليا ونيوزيلنده .

الاستعمار الاستيطاني اذن رشح نفسه كمخرج لايجاد الاسلوب المناسب لخلق دولة اليهود . الا ان الاستعمار الاستيطاني كان قد استنفد نفسه عندما ظهرت الحركة الصهيونية ولم يعد هناك عالم جديد فارغ يمكن لليهود ان يهاجروا اليه ، بحيث يجدونه خاليا او شبه خال من البشر ، فيستوطنوه ويقيموا دولتهم فيه . فما كان عليهم الا ان يفعلوا ما كان الاستعمار الاستيطاني الاوروبي المعاصر يفعله ، واقصد بذلك تواجد الاستعمار الاستيطاني في اواخر القرن ١٩ في جنوب افريقيا وشرقها والى حد ما في شمالها . اي لن تكون مهاجرة اليهود الى بقعة جديدة من العالم حديثة الاكتشاف ، بل الى بقعة قديمة مأهولة بالسكان حيث يعيشون كما يعيش المستوطنون الاوروبيون كما في شمال افريقيا والى حد ابعد في جنوبها . الا ان الحركة الصهيونية شاءت ان توفق بين طبيعة الاستعمار الاستيطاني الكلاسيكي وامكانات الاستعمار الاستيطاني المعاصر . فهي اختارت بقعة على غرار اختيار الاستعمار